

جون سيرل

العقل واللغة والمجتمع

الفلسفة في العالم الواقعي

ترجمة وتقديم
صلاح إسماعيل

1812



كيف يعمل العقل ؟ وكيف تعمل اللغة ؟ وكيف يبدع العقل واقعاً اجتماعياً؟

في هذا الكتاب إجابات عن هذه الأسئلة من خلال التحليل الفلسفي لطبيعة العقل واللغة والمجتمع، وبيان ارتباط هذه الموضوعات في رؤية كلية. وفيه أيضاً دفاع عن العقلانية وعن رؤية ميتافيزيقية معينة وهجوم على التفكيكية والنسبية وما بعد الحداثة. وقال عنه النقاد إنه حدث عظيم يؤكد مكانة سيرل كواحد من الفلاسفة العظماء في عصرنا.

العقل واللغة والمجتمع
الفلسفة في العالم الواقعي

المركز القومي للترجمة
تأسس في أكتوبر ٢٠٠٦ بإشراف: جابر عصفور

إشراف: فيصل يونس

- العدد: 1812
- العقل واللغة والمجتمع: الفلسفة في العالم الواقعي
- جون سيرل
- صلاح إسماعيل
- الطبعة الأولى 2011

هذه ترجمة كتاب:

Mind, Language & Society:
Philosophy in the Real world
By: John R. Searle

Copyright © 1998 by John R. Searle

Arabic Translation © National Center for Translation, 2011

All Rights Reserved

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومي للترجمة.

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo.

E-mail: egyptcouncil@yahoo.com

Tel: 27354524- 27354526

Fax: 27354554

العقل واللغة والمجتمع

الفلسفة في العالم الواقعي

تأليف: جون سيرل

ترجمة وتقديم: صلاح إسماعيل



2011

سيرل، جون.
المقل واللغة والمجتمع: الفلسفة فى العالم
الواقى/ تأليف: جون سيرل؛ ترجمة وتقديم:
صلاح إسماعيل .. القاهرة: الهيئة المصرية
العامة للكتاب، ٢٠١١.
٢٢٠ ص؛ ٢٤ سم .. (المشروع القومى للترجمة)
تدمك ٨ ٨٨٦ ٤٢١ ٩٧٧ ٩٧٨
١ - الفلسفة الحديثة.
أ - إسماعيل، صلاح. (مترجم ومقدم)
رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠١١ / ٩٨٦١
I. S. B. N 978 - 977 - 421 - 886 - 8

ديوى ١٩٠

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز.

المحتويات

9 تصدير
11 مقدمة بقلم المترجم
41 مقدمة
43 الفصل الأول: ميتافيزيقا أساسية: الواقع والصدق
43 ١ - رؤية التنوير: الواقع ومعقوليته
48 ٢ - تقديم الفلسفة
51 ٣ - المواقف المهملة
54 ٤ - الواقع والصدق: الموقف المهمل
61 ٥ - أربعة اعتراضات على الواقعية
68 ٦ - النزعة الشكية والمعرفة والواقع
72 ٧ - هل هناك أى تسويغ للواقعية الخارجية؟
75 ٨ - ما بعد الإلحاد
79 الفصل الثاني: كيف ننسجم مع الكون: العقل بوصفه ظاهرة بيولوجية
79 ١ - ثلاثة ملامح للوعى
85 ٢ - تعارض المواقف المهملة: مشكلة العقل والجسم
94 ٣ - عدم قابلية رد الوعى

97 ٤ - خطورة مذهب الظاهرة الثانوية
102 ٥ - وظيفة الوعي
103 ٦ - الوعي والقصدية والسببية
105 الفصل الثالث: ماهية العقل: الوعي وبنيته
107 ١ - ثلاثة أخطاء حول الوعي
111 ٢ - الملامح البنيوية للوعي
117 ٣ - مجال الوعي ومشكلة الربط
120 ٤ - الوعي والقيمة
121 الفصل الرابع: كيف يعمل العقل: القصدية
122 ١ - الوعي والقصدية
125 ٢ - تطبيع القصدية: صدام آخر للمواقف المهملة
130 ٣ - القصدية المتطبعة بوصفها ظاهرة بيولوجية
134 ٤ - بنية الحالات القصدية
140 ٥ - السببية القصدية
143 ٦ - خلفية القصدية
 الفصل الخامس: بنية العالم الاجتماعي: كيف يبدع العقل واقعاً
147 موضوعياً اجتماعياً؟
147 ١ - الواقع الاجتماعي والمؤسسي
151 ٢ - الاعتماد على الملاحظ وقوالب البناء للواقع الاجتماعي
159 ٣ - نموذج بسيط لبناء واقع مؤسسي
161 ٤ - مثال المال
163 ٥ - كيف يستطيع الواقع المؤسسي أن يكون ضخماً هكذا؟

166	٦ - حلول للمشكلة والألفاظ
	الفصل السادس: كيف تعمل اللغة: الكلام بوصفه نوعاً من الفعل
171	الإنسانى
172	١ - أفعال الكلام: الأفعال المتضمنة فى القول والأفعال عن طريق القول ...
174	٢ - معانى "المعنى"
179	٣ - المعنى والاتصال
181	٤ - أنماط متنوعة من أفعال الكلام
186	٥ - القواعد التكوينية والجهاز الرمضى
197	هوامش
205	فهرس الموضوعات
213	فهرس الأعلام

تصدير

"هناك مشكلة واحدة أساسية شغلتنى منذ أن بدأت العمل فى الفلسفة عند منتصف القرن العشرين تقريباً، وهى: كيف يمكن أن نملك تقريراً موحداً ومقنعاً من الناحية النظرية عن أنفسنا وعلاقاتنا بالناس الآخرين وبالعالم الطبيعى؟ كيف نستطيع أن نقبل تصورنا القائم على الحس المشترك عن أنفسنا بوصفنا فاعلين أصحاب وعى، وحرية، وعقول، ونبجز فعلاً كلامياً، وتكشف أفعالنا عن عقلانية، فى عالم نعتقد أنه مؤلف كلية من ذرات فيزيائية فى مجال من القوة، وهى ذرات لا حياة فيها، ولا وعى، ولا عقل لها، ولا معنى، وصامتة؟ وبعبارة موجزة، كيف نجعل تصورنا عن أنفسنا متسقاً ومتماسكاً تماماً مع تقرير عن العالم نحصل عليه من العلوم الطبيعية، وبخاصة الفيزياء، والكيمياء والأحياء؟ والأسئلة التى شغلتنى إلى أبعد الحدود - ما الفعل الكلامى؟ ما الوعى؟ ما القصديّة؟ ما المجتمع؟ ما العقلانية؟ - انصبت كلها بطريقة أو بأخرى على هذه المشكلة. وأظن أن هذه المشكلة، أو فئة المشكلات، هى المشكلة المهمة فى الفلسفة".

John R. Searle, *Consciousness and Language*, Cambridge: Cambridge University Press, 2000, p.1.

مقدمة المترجم

ثلاثية سيرل: العقل واللغة والمجتمع

عندما بدأت عملي في فلسفة اللغة منذ ربع قرن مضى، انتبعت إلى جهود الفيلسوف الأمريكي جون سيرل (١٩٣٢ -) في هذا المجال، ومنذ ذلك الحين وأنا أتابع إنتاجه الخصب، فلم يكفه أن يخرج لنا في السبعينيات فلسفة لغوية تركز على المعنى وأفعال الكلام، بل طفق منذ ذلك الحين يلفت أنظارنا إلى دراسة العقل التي ترد الاعتبار لمفاهيم مثل الوعي والقصدية كانت النزعات المادية قد استبعدتها من الفلسفة وعلم النفس. وفي أواخر القرن العشرين، قدم نظرية أصيلة حول المؤسسات، وأعاد إحياء مناقشة أنطولوجيا الواقع الاجتماعي. وفي مطلع القرن الحالي قدم دراسات عميقة في العقلانية وحرية الإرادة. وأنت ترى إذن أن إسهامات سيرل تأتي في ثلاثة مجالات هي فلسفة اللغة وفلسفة العقل وفلسفة المجتمع كما يفضل أن يسميها. وترتبط أفكار سيرل في هذه المجالات بعلوم أخرى؛ ففي فلسفة اللغة تتصل نظرياته بعلم اللغة بعامة، وعلم الدلالة، وعلم الاستعمال، وأفعال الكلام بخاصة، وفي فلسفة العقل ترتبط أفكاره بالعلم المعرفي والذكاء الاصطناعي وعلم النفس وعلم الأحياء العصبى، وفي فلسفة المجتمع تتصل أفكاره بعلم الاجتماع وعلم السياسة.

وأخص ما تمتاز به فلسفة سيرل، رغم كونه فيلسوفًا تحليليًا، هو أنها تحاول أن تجمع هذه المجالات الفلسفية وتركبها في رؤية كلية شاملة، وهو ما يسعى إلى تقديمه في هذا الكتاب. وقبل أن أحدثك عن هذه الرؤية الكلية، ويحدثك هو عن أن الذى بين يديك كتاب تركيبى يقوم به فيلسوف تحليلي، أرى من الخير أن أقدم لك طرفًا من حياة هذا الفيلسوف وتطوره الفكرى.

١ - سيرة فيلسوف

ولد جون روجرز سيرل John R. Searle فى الحادى والثلاثين من يوليو عام ١٩٣٢ فى دنفر Denver بولاية كولوريدو Colorado . ونشأ بين أبوين قاما على تربيته أحسن التربية والعناية به أشد العناية، فكان والده مهندساً كهربائياً، وكانت أمه طبيبة، وعاش معهما فى دنفر حتى بلغ الثانية عشر عاماً .

ولم تكد الحرب العالمية الثانية ترسل نذرها إلى الأرض، حتى أخذ الأمريكيون يتفرقون هنا وهناك فى أنحاء الولايات المتحدة. ولم يكن غربياً أن ترحل أسرة سيرل إلى عدة أماكن، فانتقلت بين نيويورك ونيوجرسى ووسكونسن. وفى نيويورك التحق سيرل بمدرسة خاصة هى المدرسة التجريبية التى كانت تديرها جامعة كولومبيا، وكانت معروفة بمستواها العلمى والتربوى الرفيع. وفى هذه المدرسة عاش سيرل جواً فكرياً ممتازاً ترك أعظم الأثر فى تكوينه العقلى. ففيها عشق المعرفة، وفيها تفتحت أمامه أبواباً رحبة من الثقافة، وفيها وجدت أفكار المعلمين وتوجيهاتهم انطباعها الصافى فى مرآة عقله. غير أن القدر لم يمهله كثيراً لينعم بذلك؛ إذ أصيبت أمه بالعدوى من أحد مرضاها، وماتت فى اليوم الذى أقيت فيه القنبلة الذرية على هيروشيما، وكان وقتها قد جاوز الثالثة عشر عاماً .

أنفق سيرل ثلاث سنوات فى جامعة وسكونسن، وقبل أن ينهى دراسته بها حصل على منحة رودز الدراسية من جامعة أكسفورد. وهناك أخبروه أنه يتعين عليه أن يبدأ الطريق من أوله، وبدأ الدراسة بها فى خريف عام ١٩٥٢، واختار موضوع التخصص مجموعة تضم "الفلسفة، والسياسة، والاقتصاد". وقبل أن يشد رحاله إلى أكسفورد كان يحس شيئاً من محبة الفلسفة، غير أن حب الأدب كاد أن يشغل كل عقله وقلبه ويملاً ذوقه نشوة وإعجاباً، ذلك أن الفلسفة بدت له صعبة الفهم فى كثير من جوانبها، ومتى كانت الفلسفة فى متناول الناشئة؟ فلم يدرك الهدف الذى كان يطمح إليه ليبنتز وسبينوزا، مثلاً، من كتاباتهما. وعندما استهل الدراسة فى أكسفورد انفتح أمامه عالم جديد من النشوة العقلية ليس لها حدود، كأنما قلب صفحة من حياته وبدأ صفحات أخرى، وتجلت عنايته الحقّة

بالفلسفة. وكيف لا؟ وقد التقى هناك بثلاثة من أبرز فلاسفة أكسفورد وهم جون أوستن J. L. Austin (١٩١١ - ١٩٦٠) و جلبرت رايل Gilbert Ryle (١٩٠٠ - ١٩٧٦) و بيتر سترأوسون P.F. Strawson (١٩١٩ - ٢٠٠٦). وكان من بين الطلاب النابهين في ذلك الوقت، الذين صاروا فلاسفة ذاعت شهرتهم فيما بعد الفيلسوف الكندي تشارلز تايلور Charles Taylor (١٩٣١ -) والفيلسوف الإنجليزي ديفيد فيجنس David Wiggins (١٩٣٢ -).

وفي السنة الثانية في أكسفورد، ذهب سيرل إلى محاضرات أوستن، وكانت تدور حول أفعال الكلام speech acts. ولكنه لم يفعل لها، وإنما بدت له مضجرة إلى درجة أنه لم يستطع معها صبراً، وسرعان ما توقف عن حضورها. وبدت له مملة حتى أنه لم يخطر بباله وقتئذ أن موضوعها سيكون يوماً مجال اختصاصه المهم، وسيكون مجال إسهامه البارز في فلسفة اللغة. ولعل السبب في أن هذه المحاضرات أثارت في نفسه الملل والضجر، هو عناية أوستن البالغة بالتفاصيل الدقيقة الخاصة بالأفعال الإنجليزية.

ولم يقابل سيرل فتجنشتين أبداً، وكيف يلقاه وقد كان فتجنشتين في كمبردج، وتوفي عام ١٩٥١، ولم يكن سيرل قد وصل إلى إنجلترا حتى عام ١٩٥٢. والرأى الشائع أن فتجنشتين المتأخر وأوستن يقتسمان افتراضات متشابهة ويجمعهما موقف مشترك إزاء وظيفة الفلسفة وكيفية حل مشكلاتها. غير أن سيرل يرى أن التشابهات بينهما هي "تشابهات العائلة" على حد تعبير فتجنشتين. ولكن أسلوب أوستن في الفلسفة يتعارض تعارضاً شديداً مع أسلوب فتجنشتين؛ فتجنشتين غامض ومبهم في غالب الأمر، ويتحدث بأسلوب متشامخ، أما أوستن فواضح ودقيق.

ولكن الفكرة الغريبة التي كان أوستن يحرص على أن يلقيها في روع سيرل ويفرسها في عقله هي أن فلسفة فتجنشتين برمتها يمكن التماسها في فلسفة مور. "والأمر غير المعقول إلى حد بعيد الذي كنت أسمعه من أوستن عن فتجنشتين هو أن فتجنشتين كله في مور".^(١) وهذه الفكرة تجاوى الحق وتجاوب الصواب ونكرها أشد الإنكار؛ لأنه لا يوجد باحث منصف أقرب إلى القصد

والاعتدال ينكر أن فتجنشتين مبدع مجدد، وأنه طبع جانباً كبيراً من فلسفة القرن العشرين بطابعه الخاص. ناهيك عن أن مور نفسه اعترف بنبوغ فتجنشتين وعبقريته حتى عندما كان فتجنشتين طالباً يجلس بين يديه فى كمبردج، شعر مور أن هذا الطالب أبرع منه فى الفلسفة، وأنه أكثر منه عمقاً وأنفذ منه بصيرة فيما ينبغى أن يكون عليه البحث الفلسفى. وربما يكون الميل أو المزاج الفلسفى هو الذى دفع أوستن إلى الإعجاب بمور؛ فأوستن دقيق وحذر مثلما كان مور دقيقاً وحذراً، وأوستن كان يطمح إلى قول الحقيقة بوضوح واعتدال مثلما فعل مور أيضاً. وتعود أصول أوستن الفلسفية إلى بريتشارد، وكوك ولسون، ومور، ورسل. وتأثير رسل فى مور واضح مثل تأثير مور فى رسل. وتأثير مور فى أوستن واضح أيضاً. ولم يتعلم أوستن من فتجنشتين شيئاً يذكر، ولم يتعلم فتجنشتين من أوستن شيئاً أيضاً. ولعل الفيلسوف الذى كان قريباً إلى فتجنشتين هو جلبرت رايلى، فكان أقرب إلى فتجنشتين من قربه إلى أوستن.

ويلخص سيرل الاختلاف بين فتجنشتين و أوستن بقوله: "أكبر الظن أن فتجنشتين اعتقد بالفعل أن الهدف من فحص اللغة العادية هو حل المشكلات الفلسفية التقليدية، واعتقد أنه إذا أدركت كيفية ممارسة اللعبة اللغوية، فلن تميل كثيراً إلى نتيجة شكية. ولكن أوستن أراد أن يمضى إلى الخطوة التالية؛ إذ اعتقد أن اللغة العادية فاتتة بوصفها مجالاً للبحث فى ذاتها. وعندما نمارس نظرية أفعال الكلام لا نحاول حل المشكلات الفلسفية، وإنما نحاول بالأحرى أن نبداً فرعاً جديداً فى الفلسفة". (٢)

أما عن تأثير أوستن فى سيرل فقد كان عظيماً وقوياً وبالغاً جداً. وفى غير موضع من كتاباته يكشف سيرل عن هذا التأثير ولسان حاله يقول إننى مهما بلغت من القول، فلن أسرف فيما أنا مدين به لهذا الفيلسوف من الناحيتين العلمية والشخصية على حد سواء. " لقد أثر أوستن فى تأثيراً أعظم بكثير مما أدركته. قدمنى إلى زوجتى (داجمار فى مكتبته عام ١٩٥٦ وكانت قادمة من استراليا). ومنحنى وظيفتى الأولى فى بركللى، ونفخ من روحه فى كتابى الأول (أفعال الكلام). وعندما كان على قيد الحياة لم أعتبر نفسى أبداً تابعاً له بأى

معنى. واعتقدت أنني أستطيع أن أتفوق عليه في الحجة. واعتقدت أن الشخص الذى أعجبت به أكثر هو بيتر ستراوسون. ولكننى أدرك الآن أن أوستن أثر فى حياتى كلها أعظم الأثر". (٢)

وقضى سيرل فى أكسفورد سبع سنوات، حصل خلالها على البكالوريوس عام ١٩٥٥، والدكتوراه عام ١٩٥٩، وتناولت أطروحته نظرية الأوصاف وأسماء الأعلام theory of descriptions and proper names وعالجت نظرية أفعال الكلام معالجة ابتدائية مقارنة. وفى عام ١٩٥٩ عاد سيرل إلى جامعة كاليفورنيا، بركلى ليرتقى فيها حتى حصل على الأستاذية سنة ١٩٦٧، ولا يزال يعمل بها حتى كتابة هذه السطور. والمتأمل فى سيرته الفكرية يجد أنه حصل على عدد ضخم من درجات الدكتوراه الفخرية، والجوائز العلمية، وزمالة أشهر وأعرق أكاديميات العلوم والفنون والآداب فى أمريكا وخارجها، وعمل أستاذاً زائراً فى معظم جامعات العالم، وترجمت أعماله إلى ما يزيد على عشرين لغة.

وسيرل معلم من طراز رفيع، وليس أدل على ذلك من أن جامعته قد منحته جائزة التدريس المتميز فى عام ١٩٩٩. واختارته مجلات علمية رفيعة المستوى ليكون ضمن الهيئة الاستشارية لها مثل مجلة "علم اللغة والفلسفة" و "الفلسفة والذكاء الاصطناعى" و "مجلة دراسات الوعى" و "مجلة البحث اللغوى النفسى" وغيرها. وألقى ما يزيد على ثلاثمائة محاضرة أمام صفوة العقول فى جامعات أمريكا، وكندا، وإنجلترا، وألمانيا، وفرنسا، وبلجيكا، وهولندا، والنرويج، والسويد، والدانمارك، وفنلندا، والمجر، وسويسرا، وإيطاليا، وإسبانيا، والبرتغال، والهند، والمكسيك، والبرازيل، والأرجنتين، وشيلي، واليابان، وكوريا، والصين، وأستراليا، وروسيا. وعقد لمناقشة فلسفته ما يقرب من عشر ندوات دولية.

والذين يطالعون مؤلفات سيرل يتفقون على أنها مكتوبة بلغة صافية العبارة، مستقيمة البناء، واضحة الدلالة، وهى فوق كل هذا تجمع بين الرقة والرصانة وبين العذوبة والجزالة، وبين طرافة الأفكار وجدة النظريات. ولاعجب بعد ذلك أن يسلكه النقاد فى القلة الأفاضل من فلاسفة عصرنا. وسوف أورد فيما يلى قائمة بكتب سيرل فقط، أما مقالاته وردوده على نقاده وما أكثرها، فيمكن

الاطلاع عليها في قائمة مؤلفاته المرتبة زمنياً في نهاية كتابي "فلسفة العقل: دراسة في فلسفة جون سيرل":

- ١ - أفعال الكلام: مقال في فلسفة اللغة، عام ١٩٦٩.
 - ٢ - حرب الحرم الجامعي، عام ١٩٧١.
 - ٣ - التعبير والمعنى: دراسات في نظرية أفعال الكلام، عام ١٩٧٩.
 - ٤ - القصيدة: مقال في فلسفة العقل، عام ١٩٨٣.
 - ٥ - العقول والأمخاخ والعلم، عام ١٩٨٤.
 - ٦ - أسس المنطق المتضمن في الكلام (بالاشتراك مع دانيال فندرفكن)، عام ١٩٨٥.
 - ٧ - إعادة اكتشاف العقل، عام ١٩٩٢.
 - ٨ - بنية الواقع الاجتماعي، عام ١٩٩٥.
 - ٩ - لغز الوعي، عام ١٩٩٧.
 - ١٠ - العقل واللغة والمجتمع: الفلسفة في العالم الواقعي، عام ١٩٩٨.
 - ١١ - العقلانية في الفعل، عام ٢٠٠١.
 - ١٢ - الوعي واللغة، عام ٢٠٠٢.
 - ١٣ - العقل: مقدمة موجزة، عام ٢٠٠٤.
 - ١٤ - الحرية وعلم الأحياء العصبي: تأملات في حرية الإرادة، واللغة، والقوة السياسية، عام ٢٠٠٧.
 - ١٥ - فلسفة في قرن جديد: مقالات مختارة، عام ٢٠٠٨.
 - ١٦ - صنع العالم الاجتماعي: بنية الحضارة الإنسانية، عام ٢٠١٠.
- ٢ - سيرل في سياق الفلسفة التحليلية

أرأيت كيف تشكلت عقلية سيرل في السنوات السبع التي قضاها في أكسفورد، وكيف ألهم أوستن فيلسوفنا سيرل أصول أفكار كتابه الأول "أفعال

الكلام" في أكسفورد أيضاً، وكيف اكتسب سيرل من فلاسفة أكسفورد السمات الأساسية التي تميز تفكيره وبقوتسهما مع غيره من الفلاسفة التحليليين المعاصرين.

وأخص ما نلاحظه في الفلسفة التحليلية أنها تمتاز بجملة من الخصائص تميزها من المدارس الأخرى في الفلسفة المعاصرة. أولاً، فكرة مركزية اللغة بالنسبة للفلسفة؛ إذ يعتقد الفلاسفة التحليليون أن قضايا الفلسفة يمكن فهمها فهماً جيداً عن طريق العناية باللغة. وهذا الاتجاه نحو الاهتمام باللغة أصبح يسمّى في العرف الفلسفي "التحول اللغوي" *linguistic turn* وهو أصدق ما توصف به الفلسفة التحليلية وتعرف في كلمتين. ثانياً، الاعتماد على المنهج التحليلي سواء اتخذ هذا المنهج صورة التحليل المنطقي أو التحليل اللغوي. ثالثاً، احترام نتائج العلم والحقائق التي يسلم بها الحس المشترك، وأخذها بعين الاعتبار عند معالجة المشكلات الفلسفية.

وتعود أصول الفلسفة التحليلية إلى كتابات جوتلوب فريجه Gottlob Frege (1848 - 1925) وبرتيراند رسل Bertrand Russell (1872 - 1979) وجورج مور G. E. Moor (1873 - 1958) و لودفيج فتجنشتين Ludwig Wittgenstein (1898 - 1951). ويظهر الفلاسفة التحليليون جميعاً احتراماً وإجلالاً خاصاً لفريجه الذي ينظرون إليه على أنه الأب المؤسس للفلسفة التحليلية. يقول أنتوني كيني في كتابه "فريجه": "إذا كانت الفلسفة التحليلية قد ولدت عندما حدث التحول اللغوي، فإن ولادتها لا بد من أن تؤرخ بنشر كتاب فريجه "أسس الحساب" عام 1884 عندما قرر أن الطريق إلى بحث طبيعة العدد هو تحليل الجمل التي تظهر فيها الأعداد".^(٤)

وبعد أن قرر سيرل أن أبسط طريق لوصف الفلسفة التحليلية هو القول إنها تعنى في المقام الأول بتحليل المعنى، نراه يرد أصول هذه الفلسفة إلى أبعد من فريجه. يستطيع المرء أن ينظر أيضاً إلى الفلسفة التحليلية بوصفها السليل الطبيعي للتجريبيين الإنجليز المشهورين لوك وباركلي وهيوم، وللفلسفة الترנסندنتالية *transcendental* عند كانط... ويمكن أن نلخص أفضل تلخيص

أصول الفلسفة التحليلية الحديثة بالقول إنها ظهرت إلى حيز الوجود عندما ارتبط التقليد التجريبي في الإبستمولوجيا، بالإضافة إلى المشروع الأساسى foundationalist عند كانط، بمناهج التحليل المنطقي والنظريات الفلسفية التي ابتكرها جوتلوب فريجه في أواخر القرن التاسع عشر.^(٥)

رغم أن سيرل قد اشترك مع غيره من الفلاسفة التحليليين من أبناء جيله، فإنه قد ميز نفسه من هؤلاء الفلاسفة في العقود اللاحقة بمجموعة من الطرق المهمة:^(٦)

١ - على حين ظل ينظر إلى اللغة باعتبارها أساسية للاهتمامات الفلسفية، أصبح ينظر إلى اللغة ذاتها في مقابل خلفية من القدرات البيولوجية العصبية والنفسية للكائنات البشرية، التي تدعم أساس قدراتنا بوصفنا كائنات تستعمل اللغة.

٢ - اعتنق موقفاً سلبياً فيما يتعلق بدور الإبستمولوجيا في الفلسفة المعاصرة.

٣ - اقتحم بشجاعة منطقة لم يستكشفها فلاسفة التحليل وهي محاولة بناء ما يمكن الإشارة إليه على أنه نظرية فلسفية كلية.

٤ - نظر بعين الاعتبار إلى الحس المشترك ونتائج العلم الحديث بوصفها رخصة للحديث بحرية ضد أنواع متباينة من اللغو الفكري داخل الفلسفة وخارجها على حد سواء.

والشئ الذي ليس فيه شك هو أن العناية بالاستعمال اللغوي- وبخاصة الكلمات الفلسفية المحورية - تؤدي دوراً أساسياً في مناقشة مشكلات الفلسفة. ولكن سيرل لم يجعل العناية باستعمال الكلمات هو الطريق الأوحى الذي يتعين على الفيلسوف أن يسلكه لمعالجة القضايا الفلسفية. صحيح أنه يمارس الفلسفة بوصفها تحليلاً مفهوماً conceptual analysis، وأنه تأثر بمنهج التحليل اللغوي في أكسفورد، لكن دراسته للغة في رائعته الأولى "أفعال الكلام" كانت بمثابة خطوة أولى في رحلة طويلة لا تزيد اللغة عن أن تكون معلماً واحداً من معالمها، ومعالمها الأخرى هي الوعي، والقصديّة، ونقد الذكاء الاصطناعي، والواقع الاجتماعي والمؤسسة الاجتماعية، والعقلانية، وحرية الإرادة.

وليس أدل على صحة ما نقول من أن سيرل استهل كتابه "أفعال الكلام" بالتأكيد على أنه يمارس فلسفة اللغة philosophy of language وليس الفلسفة اللغوية linguistic philosophy. والفلسفة اللغوية "منهج" فلسفى يصطنعه الفيلسوف بغية حل المشكلات الفلسفية التقليدية عن طريق العناية بالطريقة التي تستخدم بها كلمات فلسفية مهمة. أما فلسفة اللغة فهي "موضوع" من موضوعات الفلسفة، وهي محاولة لتقديم أوصاف تنويرية فلسفياً لبعض الملامح العامة في اللغة مثل الإشارة والصدق والمعنى والضرورة". (٧)

على أن هناك سمة أخرى تتسم بها فلسفة سيرل دون كثير من التحليليين الأخرى وهي تراجع دور الإبيستمولوجيا في البحث الفلسفى. ليست المشكلة عند سيرل هي: كيف تكون المعرفة ممكنة؟ وما الذى يمكن أن نعرفه؟ وإنما المشكلة كيف نحلل العقل؟ وكيف نفهم الوعى والقصدية؟ كان ديكرت ينظر إلى نظرية المعرفة على أنها أساس الفلسفة، وتابعه كثير من الفلاسفة فى القول إن الوجود الحقيقى للمعرفة يمثل مشكلة تتطلب حلاً. وجاء الحل الديكرتى من خلال رحلة البحث عن اليقين وتأسيس المعارف والعلوم على أساس قوى متين. ومع سيرل لم تعد الصدارة للإبيستمولوجيا، وإنما لفلسفة العقل التي ينظر إليها باعتبارها فلسفة أولى first philosophy، بمعنى أن الموضوعات المرتبطة باللغة، والمعرفة، والأخلاق، والاجتماع، والعقلانية، وحرية الإرادة ونحو ذلك، تفهم كأحسن ما يكون الفهم عن طريق فهم الظواهر العقلية. ولم يكن غريباً إذن أن يرى سيرل أن إمكانية المعرفة وتسويتها لا تمثل مشكلة كبيرة وملحة هذه الأيام، وسر ذلك أننا نملك فى الوقت الحالى مخزوناً ضخماً وفيراً من الحقائق حول جميع جوانب الواقع، وأن هذا المخزون المعرفى يزداد يوماً بعد يوم أو قل ساعة إثر ساعة. وهكذا لو نظرنا إلى الحقائق التي جاء بها العلم والحقائق التي يتمسك بها الحس المشترك، ثم تساءلنا بعد ذلك: هل المعرفة ممكنة؟ كنا فى رأى سيرل نسأل سؤالاً غير مشروع أو فات أو انه. ومع ذلك لا يزال بعض الفلاسفة يدافعون عن النزعة الشككية فى الإبيستمولوجيا هذه الأيام!

إن هذا المخزون المعرفى الضخم هو الذى أتاح لسيرل أن يبني نظرية موحدة فى العقل واللغة والمجتمع، مستعيناً فى ذلك بأنواع مختلفة من المعرفة التى تقدمها فروع من العلم ينفصل بعضها عن بعض أحياناً، ويترايط بعضها مع بعض أحياناً أخرى. وهنا تظهر سمة أخرى امتاز بها سيرل من الفلاسفة التحليليين المعاصرين وهى رسم "صورة فلسفية كبيرة" أو "نظرية عامة". إن الفلسفة التحليلية تشجع أنصارها على التركيز على موضوع فلسفى واحد، يتعمقه الفيلسوف على مهل، ويسبر أغواره فى أناة، ويستقصى دقائقه عن قرب. ولكن سيرل تجاوز التقليد التحليلى فى هذا الجانب عندما كتب فى مجموعة متنوعة من الموضوعات، فكتب فى فلسفة اللغة أولاً، وفى فلسفة العقل ثانياً، وفى الفلسفة الاجتماعية ثالثاً، وفى العقلانية وحرية الإرادة رابعاً. وفى موضوعات أخرى من قبيل الأنطولوجيا، والعلم، والسببية، والأخلاق. وركب هذه الموضوعات معاً ليؤلف منها موقفاً فلسفياً عاماً ينطوى على "صورة كبيرة"، ولم يمنعه ولعه بوصفه فيلسوفاً تحليلياً بالتفاصيل الدقيقة من تركيب هذه التفاصيل فى نظرية عامة موحدة. وهذا ما فعله بوضوح فى كتابه "العقل، واللغة، والمجتمع: الفلسفة فى العالم الواقعى" عام ١٩٩٨.

لقد سعى فى هذا الكتاب إلى تفسير الظواهر الأساسية التى تلتفت نظر الإنسان. وكانت الظاهرة الأولى المدهشة هى وجود الوعى فى عالم مؤلف كلية من ذرات فيزيائية. والظاهرة الثانية هى قدرة العقل على توجيه ذاته نحو الأشياء وتمثيلها، وهى ظاهرة القصديّة. والظاهرة الثالثة هى قدرة العقول على أن تبديع واقعاً اجتماعياً موضوعياً. والظاهرة الرابعة هى وجود التواصل اللغوى الإنسانى. ويدافع سيرل عن وجهة نظره الأنطولوجية التى يسميها "الواقعية الخارجية" external realism وهى "واقعية لأنها تقرر وجود العالم الواقعى، وخارجية لكى تكون متميزة من أنواع أخرى من الواقعية، مثل الواقعية المتعلقة بالموضوعات الرياضية (الواقعية الرياضية) mathematical realism أو الواقعية المتعلقة بالحقائق الأخلاقية (الواقعية الأخلاقية) ethical realism.^(٨) وتعنى الواقعية الخارجية بطريقة أخرى أن "العالم (أو بشكل بديل الواقع أو الكون) يوجد وجوداً

مستقلاً عن تمثيلاتنا representations له".^(٩) فما المقصود بالتمثيلات في هذا السياق؟ الجواب هو: "تملك الكائنات البشرية مجموعة متنوعة من الطرق المترابطة لتقريب ملامح العالم وتمثيلها لذواتها. وتتضمن هذه الطرق الإدراك الحسى، والتفكير، واللغة، والاعتقادات، والرغبات، بالإضافة إلى الصور، والخرائط، والرسوم البيانية، ونحو ذلك. وسوف أسمى هذه الطرق بشكل عام "التمثيلات". وملح التمثيلات المحددة هكذا هو أنها جميعاً ذات قصدية، قصدية باطنية intrinsic intentionality كما هو الحال في الاعتقادات والإدراكات الحسية، وقصدية مشتقة derived intentionality كما هو الحال في الخرائط والجمل".^(١٠)

ويضيف سيرل إلى هذه الواقعية الخارجية، نظرية التناظر في الصدق -correspondence theory of truth. وهذه النظرية تعد واحدة من أشهر نظريات الصدق وأكثرها قبولاً وأكثرها إثارة للجدل والخلاف أيضاً. وتعتمد على فكرة عامة تقول إن الصدق يتوقف على علاقة مع الواقع، أى إن الصدق خاصية علاقية relational property. صحيح أن الصدق خاصية للاعتقادات أو الجمل أو كائنة ما تكون حوامل الصدق، ولكن الاعتقادات لا بد من أن تكون صادقة بمقتضى شيء خارجى ترتبط به بعلاقة ما. ومهمة نظرية الصدق بصفة عامة هى توضيح هذه العلاقة. والتفسير الذى تقدمه نظرية التناظر لهذه العلاقة هو أن الصدق تناظر مع الواقع. وإذا شئت عبارة موجزة تجمع لك لباب نظرية التناظر، فإليك هذه العبارة: يكون الاعتقاد (أو الجملة) صادقاً إذا كان يناظر واقعة معينة، ويكون كاذباً إذا كان لا يناظر أية واقعة. ولست أريد أن أخوض بك الآن فى اختلاف أنصار هذه النظرية ونقادها فيما عساه أن تكون علاقة "التناظر" هذه، وما عساه أن تكون "الوقائع"^(١١)، وحسبى أن أقول إنها حظيت بتأييد عدد كبير من الفلاسفة بدءاً من أرسطو قديماً حتى مور و فرتجنشتين و سيرل فى عصرنا.

ولا تركز الواقعية الخارجية عند سيرل على احترام الحقائق المتعلقة بكيفية وجود العالم فحسب، وإنما تركز أيضاً على النظر إلى هذه الواقعية ونظرية

التناظر على أنها " افتراضات مسبقة أساسية لأي فلسفة معقولة، فضلاً عن أى علم معقول". (١٢) وهذا يعنى أن سيرل لا يعتبر الواقعية الخارجية مجرد وجهة نظر أو رأى مثلما يرى المرء أن أمل دنقل هو شاعر الرفض والتمرد، وإنما يعتبرها شرطاً أساسياً للعقلانية. فهذه الواقعية هي التي تفسح المجال أمام إمكانية وضع نظريات في العلم والفلسفة. وسر ذلك أن هذه النظريات تكتسب معقوليتها من كونها تمثيلات للطريقة التي توجد بها الأشياء وجوداً مستقلاً عن العقل. والشك في الوجود الواقعي المستقل للعالم، وأن هذا العالم ينطوى على أدلة مستقلة عن ذواتنا العارفة تكفي لتأييد نظرياتنا أو تفنيدها، يعنى أن مشروع بناء النظريات العلمية والفلسفية لا طائل تحته ولا غناء فيه.

وبالإضافة إلى ما أسلفناه من طرق امتاز بها سيرل من غيره من التحليليين، هناك سببان آخران وراء تجاوز سيرل للفلسفة التحليلية. أولهما أن ما يقوله عن اللغة لا يهم الفلاسفة فحسب، بل يهم علماء اللغة أيضاً. وما يقوله عن العقل لا يهم الفلاسفة فحسب، بل يهم علماء النفس أيضاً، وما يقوله عن العالم الاجتماعي لا يهم الفلاسفة فحسب، بل يهم علماء الاجتماع أيضاً. وما يقوله عن السبب والتفسير العلمي لا يهم الفلاسفة فحسب، بل يهم العلماء أيضاً. (١٣) وما يقوله عن الفكر والوعي والذكاء الاصطناعي لا يهم فلاسفة العقل فحسب، وإنما يهم علماء الأعصاب والذكاء الاصطناعي والكمبيوتر والعلم الإدراكي أيضاً. وأنت ترى إذن أن كتابات سيرل لا تشغل الفلاسفة وحدهم، بل تشغل طائفة كبيرة من العلماء وغيرهم من أصحاب العقول الممتازة الذين يطمحون إلى تمثل الفكر الرفيع وتذوق الثقافة العليا.

والسبب الثاني لتجاوز سيرل للتقليد التحليلي يتعلق بطريقته في الكتابة والتأليف وعرض أفكاره. إن ما يقوله يأتي بوضوح وصراحة. ورغم أنه لم يجتنب اللغة الاصطلاحية الخاصة، فإنه عندما يستعملها نراه يستعملها بقصد واعتدال. وموقفه هو أنه إذا لم يستطع المرء التعبير عن نفسه تعبيراً واضحاً صريحاً، فإن هذا علامة على أنه لا يعرف ما يتكلم عنه. (١٤) ولا ينبغي أن نفهم من هذا أن تحرى الوضوح والدقة هو الذي جعل سيرل يتجاوز غيره من التحليليين؛ لأن

التحليليين جميعاً يتوقون إلى توضيح الأفكار ويعتبرونه هدفاً للفلسفة، والأقرب إلى الصواب القول إن الاقتصاد في استعمال المصطلح الفلسفى هو من أخص ما تمتاز به فلسفة سيرل.

٣ - منهج سيرل

إذا كان سيرل قد حاول أن يتجاوز الإطار التقليدى للفلسفة التحليلية، ويميز نفسه بين أقرانه من التحليليين بجملة من الخصائص، فهل اصطنع لنفسه منهجاً متميزاً أيضاً؟ الجواب لا؛ لأنه استخدم منهج التحليل المنطقى المتبع فى الفلسفة التحليلية، وإن شئت عبارة أكثر دقة قل إنه استخدم النمط غير الصورى من التحليل المنطقى.

وها هو يصرح قائلاً: "عندما عالجت نظرية أفعال الكلام، حاولت تحليل الشروط الضرورية والكافية necessary and sufficient conditions لأداء أفعال الكلام ونطق الجملة. وهذا نوع من المنهج الكلاسيكى فى الفلسفة التحليلية؛ أى الحصول على الشروط الضرورية والكافية. ولقد طبقت هذا المنهج على دراسة القصيدة، وفى هذه الدراسة لم يكن السؤال عن الشروط الضرورية والكافية لأداء الفعل، وإنما كان السؤال عن الشروط الضرورية والكافية لكى تستوفى الحالة القصدية. وهذه هى شروط الاستيفاء conditions of satisfaction. ولقد زودنى هذا التحليل بتحليل للمعنى؛ لأننى حصلت على هذا التحليل فى حدود فرض شروط الاستيفاء على شروط الاستيفاء. والمنهج هو نوع من التحليل المنطقى".^(١٥)

ويطبق سيرل هذا المنهج على الموضوعات الأخرى التى تناولها مثل الفلسفة الاجتماعية. فنراه ينظر إلى واقع المؤسسات الاجتماعية ويتساءل: ما الواقعة المتعلقة بهذه القطعة من الورق التى تجعلها من فئة الجنيه؟ وما الواقعة المتعلقة بهذه المجموعة من المباني، التى تجعلها جامعة القاهرة؟ وقل شيئاً كهذا عن الملكية والزواج ونحو ذلك من صور الواقع الاجتماعى.

وتعتمد فلسفة سيرل اعتماداً قوياً على الحجة بالمعنى الفلسفى الدقيق، الذى يعنى تقديم الأسباب للوصول إلى النتيجة. وحجة الحجرة الصينية chinese room argument على سبيل المثال، هى سبب لرفض وجهة نظر معينة فى العقل ألا وهى القول إن العقل برنامج كمبيوتر . mind is a computer program . وبصورة مماثلة ينظم سيرل مجموعة من الأسباب تبين لماذا نرفض صورة المذهب النسبى relativism المعروف بنزعة وجهة النظر perspectivism . ويتم تقديم الحجج بوضوح على أنها حجج، وهذا يجعل الاعتراض على كل ما يوجه إليه واضحاً تمام الوضوح. ويفضل سيرل هذا الأسلوب الحجاجى أو أسلوب المحاجة argumentative style على أسلوب الكتابة الفلسفية التى يقص فيها الفيلسوف قصة طويلة من منظور نظريته، والتى يتأثر القارئ بمعقوليتها. (١٦)

ويستعمل سيرل أيضاً منهج برهان الخلف أو الرد إلى المحال reductio ad absurdum (reduction to absurdity). وهو برهان غير مباشر indirect proof على إبطال قضية عن طريق بيان فساد النتيجة اللازمة عنها. وهذا البرهان حجة قديمة شائعة الاستعمال فى تاريخ الفلسفة. ويسعى الفيلسوف من خلالها إلى تفنيد وجهة نظر معينة تفصيلاً لا يسلك الطريق المباشر إلى إثبات بطلانها، وإنما يسلك الطريق غير المباشر من خلال إثبات أنها تتضمن شيئاً باطلاً أو محالاً. فنعرض وجهة النظر التى نريد فحصها من خلال فئة من الافتراضات أو القضايا، ثم نستخرج النتائج المترتبة عليها والتى يتبين أنها نتائج يتناقض بعضها مع بعض. وفى هذه الحالة يتعذر الدفاع عن هذه الافتراضات ككل، ولا نجد بداً من رفض وجهة النظر لاحتوائها على تناقض ذاتى.

ويستعمل سيرل برهان الخلف ضد المذاهب والآراء الفلسفية التى تنتج نتائج نعرف أنها خاطئة. يستعمله ضد فلاسفة العقل الذين ينكرون وجود الوعى، أو الاعتقادات، أو المفاهيم الأساسية الأخرى فى عالم العقل، ويوجهه ضد السلوكية اللغوية linguistic behaviourism كما يجسدها مذهب اللاتحديد فى الترجمة indeterminacy of translation عند كواين. وينصحنا سيرل بأننا إذا حصلنا على شىء يظهر لنا بوضوح أنه كاذب، فعلياً أن نعرف أننا قد ارتكبنا

خطأ على الأرجح. ويقول في ذلك: "لقد اكتسبت شيئاً في أكسفورد، مع أنه قد يكون شيئاً أمتع به بالفعل، ألا وهو الإحساس بأنه من الأفضل لك ألا تقول شيئاً خاطئاً بصورة واضحة. وإذا أخبرك شخص ما بأننا لا نستطيع بالفعل أن نتواصل بعضنا مع بعض، أو أنك لا يمكن أن تعنى "أرنب" عندما تقول "أرنب" - أقول إذا أخبرك شخص بشيء، كهذا، فأنا أعرف أنه خاطئ. وأعرف أنك إذا توصلت إلى نتيجة سخيفة ومثيرة للضحك، فقد ارتكبت خطأ ومن الأفضل لك أن تعدل عن ذلك وتكتشف الخطأ. لا تقل شيئاً سخيلاً. هذا النوع من المادة تجده عند دريدا Derrida ومن هم على شاكلته. أما أنا فلم يفرني شيء من هذا بأية طريقة كانت". (١٧)

عرض كواين "دعوى اللاتحديد في الترجمة" في غير موضع من كتاباته مثل مقال "المعنى والترجمة" عام ١٩٥٩ وكتاب "الكلمة والشئ" عام ١٩٦٠، وكتاب "النسبية الأنطولوجية ومقالات أخرى" عام ١٩٦٩، ومقال "في أسباب اللاتحديد في الترجمة" عام ١٩٧٠، ومقال "اللاتحديد في الترجمة مرة أخرى" عام ١٩٨٧، وكتاب "ملاحقة الصدق" عام ١٩٩٠، وكتاب "من المثير إلى العلم" عام ١٩٩٥، وفي ردوده الكثيرة على نقاده. وتتخذ دعوى اللاتحديد في الترجمة عدة صور جاء في طليعتها "تجربة الفكر" thought experiment المتمثلة في الترجمة الجذرية -radical translation. والترجمة الجذرية هي "ترجمة لغة لبشر لم يتصلوا بغيرهم حتى اليوم". (١٨) وإليك خلاصتها: هب أنك عالم لغة ذهبت بصحبة صديق فيلسوف إلى قبيلة من العصر الحجري تعيش في غابة معزولة تماماً. وتسعى إلى ترجمة لغة هذه القبيلة إلى اللغة العربية. وطالما أن لغة هذه القبيلة خاصة بها، فلن يكون في مقدورك الاستعانة بمعاجم، أو الاستعانة بالبنى النحوية المشتركة بين هذه اللغة والعربية. ولن يكون في مقدورك أيضاً الإفادة من الدراسة التاريخية للأصول المشتركة بين اللغات، طالما أن لغة هذه القبيلة لا صلة لها بلغات أخرى.

وفي صباح اليوم التالي خرجت وصديقك مع بعض الصيادين من أفراد هذه القبيلة للاستماع إليهم ومشاهدتهم وهم يمارسون جانباً من الحياة، ويستعملون

اللغة التي تبغى تعلمها وترجمتها إلى لغتك. وبينما تسيرون في الغابة، وثب أرنب بعيداً عن الأشجار والحشائش حتى صار في مجال الرؤية الواضحة. وهنا أشار أحد الصيادين قائلاً لزميله من أبناء القبيلة بهدوء (Gavagai) وفتحت دفتر ملاحظاتك وكتبت gavagai = أرنب. وشاهد صديقك الفيلسوف ما شاهدته، ومع ذلك تساءل: هل أنت متأكد من أن gavagai تعنى أرنب؟ وكان جوابك: بكل تأكيد. وهل يمكن أن تعنى شيئاً آخر؟ ورد صديقك: ألا يمكن أن تعنى "جزء غير منفصل من الأرنب" أو "الذباة التي تلازم الأرنب"؟ ولعلك تميل في بادئ الأمر إلى رفض رد صديقك باعتباره يمثل نوعاً من الجدل الذي يفتن به الفيلسوف، ولكنك عندما تفكر على مهل يتبين أن صديقك ربما يكون محقاً فيما قال.

إن المعطيات الوحيدة المتاحة أمام عالم اللغة هي القوى التي تصطدم بحواس الصيادين (أبناء القبيلة الأصليين)، وسلوكهم القابل للملاحظة سواء كان لغوياً (متمثلاً في الكلام) أو غير لغوي (متمثلاً في الإشارة). والاعتماد على هذه المعطيات وحدها هو ما تؤكد عليه السلوكية عند تفسير السلوك اللغوي. والرأى عند كواين أنه لا يوجد شيء في سلوك الصيادين أو البيئة المحيطة بهم يمكن أن يجيب إجابة محددة عن السؤال عما إذا كان الصياد يعنى بكلمة gavagai "أرنب" أو "جزء غير منفصل من الأرنب".

وجاء رد سيرل على كواين في مقال "اللاتحديد، والتجريبية، والمتكلم" (الذي نشر أولاً في "مجلة الفلسفة" عام ١٩٨٧، وأعاد سيرل نشره في كتابه "الوعي واللغة" عام ٢٠٠٢) ليوضح أن دعوى اللاتحديد في الترجمة لا تثبت غموض الإشارة كما أراد كواين، وإنما تثبت أن السلوكية مخففة في دراسة علم النفس واللغة. صحيح أن كواين لا ينكر وجود الحالات والعمليات العقلية الداخلية، ولكنه يعتبرها غير مفيدة وغير ملائمة لتطوير نظرية علمية تجريبية في اللغة. يقول سيرل: "وهذه الوجهة من النظر هي سلوكية لغوية مفرطة غاية الإفراط. والرأى عندي أنها كثيراً ما تعرضت للنقد، وكثيراً ما تعرضت للتفنيد من جانب تشومسكى في مراجعته لكتاب سكينر B.F. Skinner (السلوك اللفظي). ويمكن أيضاً تفسير حجة الحجر الصينية chinese room argument عندي على أنها

تفنيد للسلوكية. وإحدى الطرق لتفنيد هذه الصورة من السلوكية اللغوية المتطرفة... هي تقديم برهان خلف *reductio ad absurdum* لمقدماتها. وبالفعل، يبدو لى أن كواين قدم هذا البرهان المشهور للخلف. إذا كانت السلوكية صادقة، فسوف يجرى التخلّى عن تمييزات معينة معروف بصورة مستقلة أنها صحيحة". (١٩)

ويخلص سيرل إلى النتيجة الآتية: "إذا كان كل ما يوجد للمعنى هو نماذج من المثير والاستجابة فسيكون من المستحيل "تمييز" المعانى، التى تكون قابلة للتمييز فى الواقع. وهذا هو برهان الخلف". (٢٠)

If all there were to meaning were patterns of stimulus and response, then it would be impossible to discriminate meanings, which are in fact discriminable. That is the *reductio ad absurdum*.

وتركيز كواين على السلوك الخارجى والمعطيات المتاحة بشكل بين ذاتى يحرم عالم اللغة - فى رأى سيرل - من ينبوع غنى من المعلومات، ألا وهو الاستبطان الذى يعرف به المرء حالته الخاصة أو حالة المتكلم، ويعرف به أيضاً أن المعانى مسائل حقيقية من الناحية اللغوية والنفسية. ولكن كواين يرفض النتيجة التى انتهى إليها سيرل عندما يصرح: "قال بعض النقاد إن دعوى اللاتحديد تأتى نتيجة لمذهبي السلوكى، وقال بعضهم الآخر إنها برهان خلف لمذهبي السلوكى، وأنا أختلف مع النقطة الثانية ولكنى أتفق مع الأولى". (٢١) ويظهر الخلاف بين سيرل و كواين كم هى واسعة تلك الهوة بين المذهب العقلى القصدى والمذهب التجريبي السلوكى.

ومن ملامح المنهج التحليلى عند سيرل تحليل السؤال الفلسفى تحليلاً دقيقاً قبل محاولة الإجابة عليه، والمضى فى عرض وجهة النظر الفلسفية قبل الوقوف على عناصر السؤال، وحدوده، وما ينطوى عليه من افتراضات يؤدى إلى غموض فى الفهم وخطأ فى الاستدلال، ناهيك عن أنه لا يؤدى إلى أى تقدم فى حل المشكلات الفلسفية.

وفى هذا المعنى يقول سيرل: "والطريقة التى أحاول أن أبدأ بها هى أن أحل السؤال أولاً. وبالفعل هذا هو الدرس العظيم الذى تعلمنا إياه الفلسفة اللغوية فى القرن العشرين: لا تسلّم بالأسئلة. حلل السؤال قبل أن تجيب عنه. إننى أحاول أن أستهل عملى بتحليل السؤال لإدراك ما إذا كان يرتكز على افتراض عقلى خاطئ، أو ما إذا كان يشبه المشكلة موضع البحث بفتة غير ملائمة من النماذج، أو ما إذا كانت المصطلحات المستخدمة فى السؤال غامضة نسقياً. وأجد بطريقة أو بأخرى أن المشكلات الفلسفية تتطلب على نحو مميز تفكيكاً وإعادة بناء قبل أن تعرف طريقها إلى الحل". (٢٢)

٤ - فلسفة اللغة

لاحظ أرسطو أن استعمالات اللغة متباينة، وأن الاستعمال الخلق بعناية الفيلسوف والمنطقى هو القضية التى يجوز الحكم عليها بالصدق أو بالكذب، أما الأنواع الأخرى من استعمالات اللغة التى لا تضع عبارات أو قضايا من قبيل التوسل والوعد وغيرها، فقد أحالها إلى مجال البلاغة والشعر. ولقد أثر هذا التصور الأرسطى تأثيراً سلبياً فى المحاولات اللاحقة لتطوير نظرية عامة فى استعمالات اللغة.

ومع ذلك فقد انتبه اثنان من الفلاسفة إلى ضرورة وضع نظرية عامة ودقيقة فى اللغة، هما توماس ريد Thomas Reid و أدولف ريناخ Adolf Reinach. فأما ريد فقد ميز بين "الأفعال الاجتماعية" social acts والأفعال الفردية solitary acts. الأفعال الاجتماعية، مثل الوعد، التحذير، يتطلب إنجازها عملية اجتماعية تحتاج إلى أن يوجه الفاعل فعله إلى شخص آخر. والأفعال الفردية، مثل الحكم، والاعتقاد، والقصد، والرغبة، وهى أفعال فردية لأن إنجازها لا يحتاج إلى أى كائن عاقل فى الكون سوى الشخص الذى ينجزها.

وأما ريناخ الذى كان عضواً فى جماعة أتباع هوسرل التى تأسست فى ميونخ خلال السنوات الأولى من القرن العشرين، فقد قدم محاولة فى الاستعمالات الأدائية للغة مثل الوعد والطلب والتحذير والتوسل والاثام، وسماها - مثل ريد -